



Source : AN - NAHAR
Date : 28-7-94
Photo No. : 64

تعقيدات مقدسية

في الجانب الاسرائيلي، كان الامر محسوما، او هكذا كنا نعتقد لكثرة الدلالات على وجود اجماع وطني في اسرائيل حول هذا الموضوع. ولأن الامر لم يكن يحتمل النقاش اسرائيليا، فقد فرضت حكومة اسحق رابين على الطرف الفلسطيني تأجيل البحث حول القدس الى ما بعد المرحلة الانتقالية. يوما، سارع معظم العرب الى اقناع انفسهم بأن القدس ستبقى الى الابد خارج اطار التفاوض. غير ان الآليات الميدانية تبقى دائما اقوى من الاقتناعات. وهكذا تبين ان قضية القدس التي كان يفترض انها ستظل مؤجلة، مطروحة للنقاش اسرائيليا، وذلك منذ الاسابيع الاولى للسلطة الفلسطينية في غزة واريحا، عندما كثر الكلام مثلا عن تظاهرات شعبية وتهديدات بالاخلال بالامن. ويرجح ان يكون الاضطراب الناجم عن هذا الاحياء العشوائي لمسألة القدس هو السبب الرئيسي وراء القرار الاسرائيلي باحيائها رسميا من خلال الملك حسين. فهذه المناورة تصبح الكرة في الملعب العربي، وتسجل اسرائيل نقطة المصلحتها.

غير ان تسجيل نقطة لا يعني انتهاء المشكلة. على العكس من ذلك، فهنا تدخل التعقيدات العربية لتعيد خلط الاوراق، ما قد يجعل من "الانجاز" الاسرائيلي مجازفة خطيرة.

تكمن المجازفة اولا في طرح مسألة القدس رسميا بعد شهرين فقط من بداية الحكم الذاتي الفلسطيني، اي في وقت يبقى الفلسطينيون في حال التبعية السياسية. هذا فضلا عن اتاحة المجال امام الرئيس ياسر عرفات للعب على اوتار يعرفها بامتياز، وهي اوتار التوازنات العربية، من اجل الحصول على دعم لم يكن واردا قبل اسابيع. والجهة المعنية باعطاء هذا الدعم هي بالطبع المملكة العربية السعودية، الحساسة بنوبيا لكل ما يتعلق بحماية الاماكن المقدسة، مقدسية كانت ام حجازية، خصوصا عندما يلوح في الافق اسم البيت الهاشمي.

وبما ان الثمن المقبوض اردنيا من اعلان انتهاء حال الحرب هو تصفية آخر آثار حرب الخليج، فيمكن المراعاة على تفاقم هذه الحساسية السعودية، وتاليا تشعب التعقيدات المقدسية.

لو كانت الولايات المتحدة تريد تكذيب "بشرى" وزير خارجيتها، وارن كريستوفر، القائلة بقرب انتهاء الصراع العربي - الاسرائيلي، لما كانت تصرفت بطريقة اخرى قبل يومين عندما رعت ما يمكن تسميته عملية احياء مسألة القدس.

صحيح ان التوقيع على اعلان انتهاء الحرب بين الاردن واسرائيل يكرس انتصار التوجه الذي ارادته الولايات المتحدة للمنطقة منذ نهاية حرب الخليج الثانية، والذي جسده الرئيس السابق جورج بوش في خطاب افتتاح مؤتمر مدريد، وان من شأن انهيار "الجدار النفسي" كما تقول الصيغة الساذجة التي راجت هذه الايام، ان يحتم افتتاح الباب الاخير امام التسوية، اي الباب السوري، ولو بعد حين. وصحيح ايضا ان الورقة الجديدة التي كسبها الاردن في وجه منظمة التحرير الفلسطينية في ما يتعلق بالقدس توحي بظهور المزيد من الصعوبات امام الحكم الذاتي واحتمالات توسيعه وتحوّله. لكن هذه النقطة بالذات تدلّ على ان الصراع العربي - الاسرائيلي لم ينته بانتهاء مرحلته "الكلاسيكية"، وانما هو مرشح للاستمرار بحلة جديدة وتعقيدات اضافية.

وابرز هذه التعقيدات ستكون على الارجح تلك المتأتية من الخلافات العربية - العربية من جهة، والتناقضات الاسرائيلية الداخلية من جهة اخرى - وليس في قاموس الصراع مسألة اكثر قدرة على تغذية هذه الخلافات وتلك التناقضات مما يسمى "مسألة القدس".